الملف

غاصب مختار
jornalist.70@gmail.com

كيف بدأت العلاقات الإيرانيّة - الإسرائيليّة وكيف انتهت؟ منصور: موقف طهران من تل أبيب لن يتغيّر

تحوّل الصراع السياسي بين ايران واسرائيل الى صراع عسكري بعد عملية "طوفان الاقصى" في غزة، وتحولها الى حرب دخلت فيها جبهات اخرى ومنها ايران، مما هدد بحصول حرب اقليمية - دولية واسعة بذلت جهود كبيرة لتلافيها، بعدما تلقت ايران ضربات عسكرية اسرائيلية ردت عليها بالمثل

رغم كل المساعي والاتفاقات الدولية التي ابرمت مع ايران، الا ان هذا لم يلغ موقفها المعادي لوجود اسرائيل نتيجة التراكمات التاريخية منذ قيام الثورة الاسلامية عام 1979، وقطع العلاقات التي كانت قائمة ايام الشاه، والتزام طهران الكلي القضية الفلسطينية ودعم حركات المقاومة ضدها، مما زاد من حالة العداء بين الطرفين. "الامن العام" حاورت وزير الخارجية الاسبق الدكتور عدنان منصور، الخبير في الشأن الايراني كونه كان سفيرا للبنان في طهران والف عددا من الكتب حولها.

■ بعد اندلاع الثورة الاسلامية في ايران تغيرت بشكل جذري علاقة طهران بالكيان الاسرائيلي، كيف كانت العلاقات ايام حكم الشاه وما سبب هذا التحول الجذري؟

□ قبل قيام الثورة الاسلامية في ايران ذهب الشاه بعيدا في علاقاته مع الحركة الصهيونية قبل وبعد اعلان الدولة الاسرائيلية. هذه العلاقات شكلت تحديا واستفزازا لشعوب الدول العربية والاسلامية على السواء، وخصوصا للشعب الايراني. بعد اقل من عام على قيام الدولة الاسرائيلية اعترفت تركيا بها في شهر اذار عام 1949، وكانت حينها اول دولة اسلامية كبيرة تعترف بالكيان الصهيوني، لتلحق بها ايران في شهر اذار عام 1950. لم يكن اعتراف ايران باسرائيل واقامة علاقات متينة معها ليرضي في ما بعد الشريحة الواسعة من الشعب الايراني التي ناضلت طويلا ضد الهيمنة والعمالة والظلم، وهي ترى ارضا اسلامية يهجر شعبها بالقوة والارهاب ويلحق به القتل والتشريد في مؤامرة دولية نفذتها الدول التي هيمنت على هذه المنطقة من العالم واستعمرتها. نبض هذه الشريحة الواسعة لرفض الكيان الصهيوني، تمثل في رجال الدين الذين وجدوا في اعتراف الشاه باسرائيل خروجا عن القيم وعن حقوق المسلمين الشرعية ودعم الدولة المغتصبة لفلسطين. وعندما احتدم الصراع واندلعت المواجهات بين المستوطنين الصهاينة والفلسطينيين عامي 1947 - 1948، اعلنت طهران اعترافها باسرائيل، لكن هذا الامر توقف عند مجيء محمد مصدق على رأس الحكومة الايرانية حيث قام باغلاق الممثلية الايرانية في القدس، الا ان الشاه بعد اسقاط مصدق اعاد العلاقات مع اسرائيل بشكل سري.

■ كيف عبّر الشعب الايراني عن رفضه اقامة العلاقات؟

□ عند قيام الدولة الاسرائيلية، اعلنت القوى المتمثلة برجال الدين والحوزة الدينية موقفا صريحا برفضها ذلك الاعلان. ودعت الحوزة الدينية في مدينة قم الشعب الايراني الى مساعدة الشعب الفلسطيني والوقف الى جانبه، وكان على رأس هؤلاء اية الله العظمى حسين بروجردي واية الله ابوالقاسم قاشاني، حيث اعلنا وقوفهما ضد سياسة الشاه في اقامة علاقات مع اسرائيل. تعتبر هذه المواقف لرجال الدين، بالاضافة الى الغضب الذي اعلنه الشعب الايراني، نقطة القوة التي اعتمدت عليها حكومة مصدق بسحب الاعتراف باسرائيل لدى وصوله الى الحكم.

■ كيف تطور الخلاف الايراني - الاسرائيلي وتحول الى صراع اقليمي؟

□ الامام اية الله الخميني كان يتطلع دوما الى اقامة حركة مقاومة على مستوى الامة الاسلامية كلها، وليس حصر معركته ونضاله في الاطار القومي او الوطني المحدود. ولطالما اعتبر ان القضية الفلسطينية يجب ان تطرح من بابها الواسع، على اعتبار انها قضية عادلة تهم الامة الاسلامية كلها ومنها الشعب الايراني. بعد ثلاثة اشهر من حرب 5 حزيران 1967، اعلن الشاه حق اسرائيل في الوجود، فكان ان اصدر الامام الخميني فتوى بتقديم الزكاة الى المقاومين في فلسطين، وفتح حسابا مصرفيا موقعا من اية الله طباطبائي واية الله مطهري في المصرف الوطني وفي بنك صادرات ايران وبنك التجارة دعما للمقاومة الفلسطينية. وقد اتخذت القضية الفلسطينية مع الامام الخميني حيزا مهما في الحياة السياسية للشعب الايراني، فبدأت تتوسع اكثر فأكثر على الصعيدين الشعبي والطالبي.

■ لماذا اهتمت اسرائيل بوضع ايران لهذه الدرجة تاريخيا؟

□ ان الوثائق السرية لجهاز الشاباك الاسرائيلي تشير الى ان ايران اصبحت في العهد البهلوي المحطة الرئيسية لنقل يهود آسيا الى اسرائيل، اذ شهدت وصول اعداد كبيرة من اليهود من بلدان اسيوية وعربية مجاورة، تم ترحيلهم من ايران الى اسرائيل بواسطة وكالات السفر الاسرائيلية في ايران، التي قدمت لهم مجانا كل الخدمات على انواعها.

■ كيف تعاملت ايران مع التطورات التي اعقبت توسع الصراع وفرض الحصار الدولي عليها ومن ثم تعرضها لضربات عسكرية، والى اي مدى نجحت في تجاوز ازماتها؟

وزير الخارجية الاسبق الدكتور عدنان منصور.

□ عند قيام الثورة الاسلامية عام 1979، تغيرت العلاقات بشكل جذري واقفلت السفارة الاسرائيلية وحلت مكانها سفارة فلسطين وقطعت العلاقات وتم سحب الاعتراف بالدولة الاسرائيلية. كانت هذه بداية مرحلة في الصراع بين العدو الاسرائيلي وبين الجمهورية الاسلامية الايرانية. ايران اعتبرت نفسها جزءا من المنطقة ومن الصراع العربي - الاسرائيلي لأنها كانت تعتبر ان قضية فلسطين قضية مركزية للعالم الاسلامي نظرا الى وجود القدس والمسجد الاقصى والمقدسات الدينية الاسلامية. هذا الموقف الايراني فتح المجال امام صراع اقليمي، بحيث بدأت ايران تنسج علاقات مع دول المحيط تعزز من مواقفها ومن دورها في خدمة القضية الفلسطينية والعمل على تحرير فلسطين. هذا الامر لم يمر بسهولة، على اعتبار ان الغرب الذي يقف الى جانب اسرائيل منذ تأسيسها والذي انشأها وعمل على تعزيز وجودها لم يقبل السياسة الايرانية، واعتبر ان سياسات ايران في المنطقة المشرقية سياسات عدائية تريد زعزعة الاستقرار والقضاء على الوجود الاسرائيلي. فتسارع التطورات والاحداث، وتنامي علاقات ايران مع دول المنطقة والحركات السياسية الرافضة للوجود الاسرائيلي، دفعا بالغرب الى فرض عقوبات على ايران علها تحيد عن سياساتها تجاه اسرائيل.

> **ايران كانت المحطة الرئيسية لنقل يهود آسيا الى اسرائيل**

■ هل ترى ان ايران ضعفت بعد الضربات التي تعرضت لها بالغارات الجوية والاغتيالات التي نفذتها اسرائيل؟

□ لا شك في ان العقوبات والحصار الدولي اللذين فرضا على ايران اضعفا اقتصادها، لكن لا يعني ذلك ان الحصار جعل ايران تركع امام ما تريده دول الغرب، اي تغيير سياستها تجاه اسرائيل وتجاه دول الغرب. فهي اعتبرت نفسها منذ اليوم الاول لقيام ثورتها انها ضد الهيمنة وضد الانحياز لأي جهة، ورفضت سياسات الغرب واستغلاله لشعوب المنطقة وخيراتها، وايضا كان هناك رفض تام للوجود الاسرائيلي. وقد استوعبت طهران هذه العقوبات على مدى اربعة عقود، مما جعل الايرانيين يعتمدون الى حد بعيد على انفسهم في مجالات عديدة. كما قامت ايران بنهضة كبيرة شهدت لها دول الغرب، ولديها الان اكتفاء غذائي ذاتي بنسبة عالية تتعدى 85%، ولديها ايضا قدراتها العسكرية المستقلة. كذلك استطاعت ان تنشىء قاعدة صناعية كبيرة على مساحة الجمهورية. لكن هذا التطور الذي احرزته لا يكفي، لأنه لو لم يكن هناك عقوبات لحققت ايران قفزات كبرى على مختلف المستويات.

■ ماذا عن تأثير الضربات العسكرية والاغتيالات على الوضع الايراني الداخلي؟

□ على مدى سنوات من عمر الثورة كانت ايران تتعرض دوما للتهديد وللضغوط ولضربات عسكرية، من هنا او هناك، لكنها لم تكن تبالي لأنها كانت تسير في طريق بناء البلاد، ولم تكن تريد اساسا ان تشن حربا على اي دولة من الدول. لكن اسرائيل، في الاونة الاخيرة، بعدما وجد الغرب ان طهران تدعم محور المقاومة، وبات لها نفوذ كبير في المنطقة، وبدأت توسع مجالها، لجأت الى الاعتداء عليها.

■ الملف النووي الايراني هو احد اهم اسباب تطور الصراع مع اسرائيل التي ترفض تحول الى دولة نووية، كيف تتعامل ايران مع هذا الملف؟

□ لا شك في ان الموضوع الاهم في علاقات ايران مع الغرب، وخصوصا مع اسرائيل، هو الملف النووي، لأن الغرب لا يريد ان يرى دولة معادية له وضد سياساته، ومعادية لاسرائيل، تمتلك مقومات القوة النووية السلمية. لذلك، عندما بدأت ايران برنامجها النووي، وجدنا كيف ان الغرب تصدى لها وشكك في نواياها، واعتبر ان ايران تسعى الى تطوير سلاح نووي، علما انها كانت في خطواتها الاولى في هذا المجال. وقد اعربت مرارا، على لسان مرشد الثورة، انها لا تسعى الى امتلاك سلاح نووي، وصدرت فتوى دينية عن المرشد حرّم فيها امتلاك السلاح ◄

◄ النووي واستخدام اسلحة الدمار الشامل. لكن الامور لا تتوقف عند الهدف العسكري للغرب، فهو لا يريد ان تكون هناك قوة اقتصادية مستقلة ودولة تمتلك قرارها السياسي المستقل، في معزل عن الدول الكبرى حتى لا تصبح هذه الدولة نموذجا للاخرين يحذون حذوها. مع ذلك، استطاعت ايران ان تتقدم بعيدا في هذا المجال واصبحت قادرة، اذا ارادت ذلك، ان تنتج قنبلتها النووية. عندما دعا الغرب طهران الى المفاوضات حول الملف النووي، ذهبت الى المفاوضات وتم توقيع الاتفاق الدولي عبر مجموعة 5+1 عام 2015 والتزمت به 3 سنوات مثبتة حسن نواياها، فقرر مجلس الامن رفع العقوبات عنها. لكن الرئيس الاميركي دونالد ترامب قرر منفردا الانسحاب من الاتفاق عام 2018، علما ان الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وعلى مدى ثلاث سنوات كانت تصدر تقريرا كل شهر، تؤكد فيه ان ايران تلتزم التزاما كاملا الاتفاق النووي. ورغم انسحاب اميركا من الاتفاق وفرض عقوبات على ايران الزم بها ترامب دولا كثيرة، الا ان المانيا وفرنسا وبريطانيا لم تنسحب من الاتفاق.

■ كيف يمكن ان تتصرف طهران في حال توسعت رقعة الصراع العسكري مع اسرائيل ودخلت دول اخرى فيه؟

استوعبت طهران العقوبات الغربية على مدى 4 عقود والتزمت الاتفاق النووي

□ لا اتصور ان ايران ستأخذ المبادرة وتقوم بتدخل عسكري مباشر ضد اسرائيل، فهي قالت مرارا انها لا تسعى الى الحرب بل الى تحقيق الاستقرار في المنطقة. ومع انها تدعم حلفاءها ماديا وعسكريا، الا ان ذلك لا يعني انه اذا قامت اسرائيل بعدوان على دولة او اكثر، سيدفع ذلك ايران الى ان تتدخل عسكريا. وعندما قامت ايران بقصف اسرائيل بعد العدوان الذي قامت به اولا على سفارتها في دمشق ثم باغتيال رئيس حركة "حماس" اسماعيل هنية في قلب طهران، كان هذا من باب الدفاع عن النفس، والقوانين الدولية تقر ذلك لاسيما المادة 51 من ميثاق الامم المتحدة. اما لو ارادت ايران ان تقوم بعملية عسكرية على اسرائيل، فهذا يعتبر من زاوية القانون الدولي اعتداء، وهذا ما لن تقبل به الولايات المتحدة ولا اوروبا، وستعتبر واشنطن ذلك حجة لها لكي تقوم بتأليف حلف غربي كبير ضد ايران للقيام بعملية عسكرية واسعة النطاق عليها.

■ الى اي مدى يمكن ان يذهب الصراع بين طهران وتل ابيب، وهل ثمة امكان لمتغيرات في حال حصلت تسوية اقليمية بعد وقف الحرب في غزة ولبنان؟

□ نحن في حالة حرب مع اسرائيل، واي تسوية سياسية يمكن ان تحصل في المنطقة لا يعني بالضرورة ان تقبل بها ايران، باعتبار ان المعني بالصراع المباشر هي الدول التي تحتل اسرائيل اجزاء من اراضيها، مثل لبنان وسوريا بعد احتلالها فلسطين. هذا الصراع ينحصر في اطار محدود واذا حصلت تسوية فهي لن تشمل ايران، ولا اتصور انها ستغير سياستها تجاه اسرائيل حتى لو حصل اي اتفاق في المنطقة. فايران الثورة وقبل الثورة، كان لها موقف واضح تجاه اسرائيل وهو سيستمر مع النظام الحالي. والدليل ان هناك دولا عربية طبّعت العلاقات مع اسرائيل، وكان في امكان ايران ان تطبّع ايضا وان تزاح عنها العقوبات، لكنها لا تلجأ الى المقايضة ولا تساوم على مبادئها الثابتة حول القضية الفلسطينية.